

## تحليل مبادئ العمل الأخلاقي (الإدراك والشوق والعزم) من منظور نهج البلاغة

مهدي زماني

تاريخ القبول: ١٤٤٢/١٠/٢٠

تاريخ الاستلام: ١٤٤١/١١/١٤

أستاذ مشارك بقسم الشريعة، بجامعة پیام نور، طهران، إيران

### Analysis of the Principles of Moral Action (Cognition, Enthusiasm and Determination) from the Perspective of Nahj -ul-Balaghah

Mehdi Zamani

Received: 2020/07/06

Accepted: 2021/06/01

Associate Professor, Department of Theology, Payame Noor University, Tehran, Iran

10.30473/ANB.2022.53943.1216

#### Abstract

In this article, the principles of moral action in Nahj al-Balaghah have been studied by descriptive-analytical method. The principles of moral action or the process of issuing it from the philosophers' point of view can be summarized in three stages, which are: 1- cognition (perception and affirmation), 2- feeling (passion) and 3- will (emphatic passion, determination and consensus). In Nahj al-Balaghah, insight into action and its consequences is mentioned as the first stage of this process, ie cognition. The second stage of issuing a moral act includes emotional components such as passion, fear, desire, desire and love, and the third stage is determination, decision and will. In Nahj al-Balaghah, based on these three principles, the ways to achieve the recognition of the consequences of action, the methods of realizing positive feelings, as well as the ways of strengthening the inner strength of determination, decision and will are stated. Paying attention to the separation of principles and stages of issuing a verb in moral and religious categories such as repentance, piety, patience, asceticism, etc. can clarify the way to identify various obstacles to the realization of righteous action (moral act) and the method of eliminating them. Educational strategies to strengthen and correct cognition, enthusiasm and determination, and therefore its explanation is essential.

**Keywords:** Principles of Moral Action, Cognition, Enthusiasm, Determination, Nahj al-Balaghah, Ethics.

#### الملخص

في هذا المقال تمت دراسة مبادئ العمل الأخلاقي في نهج البلاغة بالطريقة الوصفية التحليلية. ويمكن تلخيص مبادئ العمل الأخلاقي أو عملية إصداره من وجهة نظر الفلاسفة في ثلاث مراحل وهي: ١- الإدراك (التصور والتصديق)، ٢- الإحساس (الشوق)، ٣- الإرادة (الشوق المؤكّد والعزم والإجماع) في نهج البلاغة، وتم ذكر البصيرة في العمل ونتائجه كمرحلة أولى من هذه العملية، أي الإدراك. وتشمل المرحلة الثانية لإصدار الفعل الأخلاقي أمور عاطفية كالشوق والخوف والميل والرغبة والحب، والمرحلة الثالثة هي العزم والتصميم والإرادة في نهج البلاغة فبناءً على هذه المبادئ الثلاثة تم تحديد طرق تحقيق العلم بعواقب الفعل وطرق تحقيق المشاعر الأخلاقية وكذلك طرق تقوية القوة الباطنية للتصميم والعزم والإرادة. فإن الاهتمام بالفصل بين هذه المبادئ ومراحل إصدار الإجراءات في الأمور الأخلاقية والدينية مثل التوبة والتقوى والصبر والزهد وغير ذلك، يمكن أن يوضح طريقة تحديد العوائق المختلفة التي تشرح تحقيق العمل الصالح (الفعل الأخلاقي) وطريقة القضاء عليها وتحضير إستراتيجيات تربوية لتقوية الإدراك والشوق والعزم وتصحيحها، ولذلك تفسيرها ضروري.

**الكلمات الدلالية:** مبادئ العمل الأخلاقي، الإدراك، الشوق، العزيمة، نهج البلاغة.

## المقدمة

الفعل الأخلاقي هو نوع من الفعل الإرادي، وهو في الواقع عمل، وبعبارة أخرى فعل إرادي ينقسم إلى أخلاقي وغير أخلاقي. لذلك، في تحليل مصادر الفعل الأخلاقي، وبعبارة أخرى، مبادئه، يجب أن نتوجه إلى مبادئ العمل أو الفعل الإرادي. فلسفة الفعل (Philosophy of action) هي عنوان فرع جديد في الفلسفة يشرح طبيعة "العمل" وطريقة تحقيق الفعل الاختياري للإنسان وعوامله. (ذاكري، ١٣٩٤: ٤) كيفية تشكيل الفعل أو عملية إصدار الفعل الاختياري هي إحدى القضايا الرئيسية في فلسفة الفعل، ويمكن استخدام العنوان الفلسفي "مبادئ العمل الإختياري" بشأها. تم الطرح ودراسة العديد من قضايا فلسفة العمل، بما في ذلك مبادئ إصدار العمل الإختياري البشري في أذهان المفكرين المسلمين ضمن موضوعات "علم النفس". من وجهة نظر المفكرين المسلمين، علم النفس هو مناقشة عقلانية وفلسفية حول تعريف النفس وبيان طبيعتها وقواها وغيرها من القضايا المتعلقة بالنفس وكيفية ارتباطها بالجسد. (رضائي، ١٣٩٦: ٤٠) هذه القضايا في كتب الفلاسفة المسلمين أثرت بشكل رئيسي في الطبيعيات أو القضايا الأولية للمعاد. (صدر الدين الشيرازي، ١٣٦٠: ٢٠٩)

## أهمية وضرورة البحث

في هذا المقال، وبجسب المؤلفات الموجودة في هذا المجال، نصف مراحل عملية إصدار الفعل الأخلاقي في نهج البلاغة ونحللها. نرى في نهج البلاغة تركيزًا خاصًا على دور العمل في الحياة المادية والروحية للإنسان. إن الحسنات مع الإيمان تحدد مصير الإنسان وسعادته (الخطبة: ١٧٢) ولذلك من الضروري تحليل مبادئ إصدار الفعل الأخلاقي وعلاقته بالإيمان. نتيجة هذه الدراسة والتحليل مهمة لأنه يتم توضيح عملية إصدار الحسنات أو الأعمال الصالحة ضد السيئات، كما يتم توفير نظرة أكثر تنظيمًا لكلام الإمام (ع) في هذا الصدد. هذه الدراسة، بالإضافة إلى وصف مكونات

تحقيق الحسنات والسيئات، تستخدم أيضًا في التوصية بالحسنات. بالإضافة إلى ذلك، يعرف نوع المعوقات والأمراض التي تؤدي إلى التخلي عن العمل الصالح ويتم تحديد علاج خاص ومناسب للقضاء عليها ورفعها، وبالتالي فهي تؤثر في مسألة تهذيب الناس.

## خلفية البحث

توجد أبحاث قيمة حول العلاقة بين الإيمان والعمل وكذلك العلاقة بين العلم والعمل في نهج البلاغة (محدثي، ١٣٨٨: ٢٦). لكن لم يتم العثور على بحث حول مبادئ العمل الأخلاقي أو عملية إصدار الفعل من الفاعل، وبالتالي الحاجة إلى البحث عن هذه المسئلة أمر واضح. من أجل تنظيم أفضل، نتوجه أولاً إلى موقف المراحل الثلاث في تحقيق الفعل الأخلاقي يعني الإدراك والشعور والإرادة، من منظور نهج البلاغة، ثم نقوم بتحليل خطوات وعملية تحقيق بعض الأعمال الصالحة في هذا الكتاب.

## مبادئ إصدار الأفعال

قد نظر العديد من المفكرين المسلمين في مسألة عملية تكوين الفعل أو مبادئ إصدار الفعل، وقد قدم كل منهم آراءه في هذا المجال وفقاً لمبادئه الفكرية الخاصة. يعتبر ابن سينا أن إصدار الفعل هو نتاج فعل القوى الثلاث: ١. المدركة، ٢. الشوقية، ٣. الفاعلة. في البداية، يتخيل الإنسان شيئاً ما ويرى أنه مفيد (فعل قوة المدركة) ثم يرغب به (نتيجة قوة الشوقية) وفي النهاية تتحرك القوة المحركة للعضلات نحوه (عمل القوة المحركة). تعتبر ابن سينا قوة الشوقية والفاعلة بمثابة القوى الدافعة، فإن قوى المدركة والقوة الدافعة فعالة في إصدار الفعل. (ابن سينا، ١٣٦٢: ٣٣/٢) شرح ملاصدرا مراحل إصدار الفعل بطرق مختلفة. وقد لخصها في بعض آثاره في ثلاث مراحل: ١. الداعي أو الدافع، ٢. الشوق المؤكد، ٣. تحفيز الأعضاء (صدرالدين الشيرازي، ١٣٥٤: ١٣٥) ولكنه زادها أحياناً في بعض كتبه بمزيد من التفصيل إلى ستة مراحل. (رضائي وهوشنگي، ١٣٩٣: ١٣٥) في بيانه الأكثر تفصيلاً في هذا الصدد، تشارك مراحل مختلفة في تحقق الأفعال على التوالي: ١. التصور،

### دور الإدراك في العمل

تجربتنا العامة هي أن العمل البشري يتشكل من خلال معرفتنا. في المقام الأول، يتصور الإنسان الفعل والتدابير ويقر بفوائده وخسائره. ثم، إذا رأى أن هذا الفعل مفيد، فإنه يفعله، وإذا رأى أنه يضر به، فإنه لا يفعله: «فَالنَّاطِرُ بِالْقَلْبِ الْعَامِلُ بِالْبَصَرِ يَكُونُ مُبْتَدَأُ عَمَلِهِ أَنْ يَعْلَمَ أَعْمَلُهُ عَلَيْهِ أَمْ لَهُ؟ فَإِنْ كَانَ لَهُ مَضَى فِيهِ وَإِنْ كَانَ عَلَيْهِ وَقَفَ عَنْهُ» (الخطبة: ١٥٤) في هذا الكلام «البصر» بمعنى البصيرة والمعرفة الصحيحة. (ابن أبي الحديد، ١٣٧٨: ١٧٨/٩) فأول عامل يرشد الإنسان إلى العمل أو تركه هو علمه بفوائد الفعل ومضاره. يتألف هذا الإدراك عادةً من مرحلتين: ١. تصور الفعل و٢. التعرف على نتائجه للفاعل. بهذه الطريقة، يقوم الفاعل بعمل يراه مفيداً له، ويرفض القيام بذلك إن كان مضرًا له.

### معايير الربح والخسارة

الأمام (ع) نبه العاقل ذا الفكر السليم الناظر بعين بصيرته على ما ينبغي له أن يبدأ به في حركاته وسكناته وهو أن يتفقد أحوال نفسه فيما يهيم به وينبعث في طلبه أو تركه، ويعلم أذلك الخاطر أو تلك الحركة مقرّبة له من الله تعالى فيكون له فينبغي أن يمضى فيها أو مبعده له عن رضاه ومستلزمة لسخطه فيكون عليه فيقف عنها. ثم شبه الجاهل في حركاته وسكناته بالسائر على غير طريق. (ابن ميثم البحراني، ١٣٦٢: ٢٤٩/٣)

الجاهل كالمسافر الذي ضل طريقه عن الطريق الذي يقوده إلى مقصوده، وبالتالي، كلما أسرع وحاول، ابتعد عن الوجهة والهدف، ونأى عن تلبية حوائجه. «فَإِنَّ الْعَامِلَ بِغَيْرِ عِلْمٍ كَالسَّائِرِ عَلَى غَيْرِ طَرِيقٍ، فَلَا يَزِيدُهُ بُعْدُهُ عَنِ الطَّرِيقِ الْوَاضِحِ إِلَّا بُعْدًا مِنْ حَاجَتِهِ، وَالْعَامِلُ بِالْعِلْمِ كَالسَّائِرِ عَلَى الطَّرِيقِ الْوَاضِحِ» (الخطبة: ١٥٤) لذلك، يجب على كل فاعل أن يقوي قوة التعرف والتشخيص بفائدة العمل الذي يختاره وبضروته، من أجل معرفة أنه كان على طريق التقدم والوصول إلى الهدف، أو الرجوع. «فَلْيَنْظُرْ نَاطِرٌ أَسَائِرٌ هُوَ أَمَّ رَاجِعٌ» (الخطبة: ١٥٤)

### مصادر المعرفة

من وجهة نهج البلاغة، لا تقتصر في معرفة الفعل وتصوره

٢. التصديق، ٣. الشوق، ٤. الشوق المؤكد، ٥. الإرادة (الإجماع)، ٦. حركة أعضاء الجسم. (صدرالدين الشيرازي، ١٩٨١: ٣٥٤/٦) يتخيل الإنسان أولاً شيئاً ثم يقرّ بفائدته أو بملائمته مع نفسه (مرحلة الإدراك). بعد الإدراك في المرحلة الثانية، تنشأ فيه حالات عاطفية من الميل والرغبة والشوق. وأخيراً، في المرحلة الثالثة، حيث يشتد شوق الفاعل، أراد الفاعل أن يؤدي الفعل الأخلاقي ويتحرك أعضاؤه للقيام بذلك. لذلك، في تحقيق العمل الأخلاقي، تشارك القوى الإدراكية والشوقية والارادية للإنسان. من منظور ملاصدرا، التصور والتصديق هو ثمره القوة الإدراكية والميل والرغبة والشوق هو نتيجة القوة العاطفية والشوق الشديد والإجماع هو وظيفة القوة الإرادية البشرية في أداء العمل. لذلك يجب التمييز بين مرحلة الميل والرغبة والشوق من جهة، والشوق المؤكد والإجماع والإرادة من جهة أخرى، لأنه بالرغم من أن الرغبات تلعب دوراً في أداء الأعمال، إلا أن الإنسان ليس خاضعاً لها بل تمتلك الإرادة التي تقاوم الرغبات بما.

### مبادئ الفعل

١. القوة المدركة: التصور والتصديق/ التفكير والتخيل
٢. القوة الشوقية: الميل/ الرغبة/ الشوق
٣. القوة الارادية: الشوق المؤكد/ الاجماع/ العزم

### الإدراك والإحساس والإرادة

عمل الإنسان هو ظهور قواه الداخلية وعوامله. يمكن تلخيص القوى والعوامل الداخلية في ثلاث مجالات: ١. الإدراكات والمعتقدات، ٢. المشاعر والعواطف، ٣. الرغبات والإرادات. وفقاً للبعض، فإن الفرق بين الإدراك والاحساس والإرادة هو أن الإدراك يرتبط بالقوة العلمية للنفس، حين أن الاحساس له جانب انفعالي والإرادة هو الجانب الفعال للنفس البشرية. (مطهري، ١٣٧١: ٦١٤/٦، ٦٢٢) فان قلنا بهذه المراحل في نشأة الفعل: ١. التصور، ٢. التصديق، ٣. الإثارة، ٤. القياس والمقارنة، ٥ - العزم والإرادة، فان الذي يميز عمل الإنسان من الحيوانات هو المرحلتين الرابعة والخامسة.

وأقواله. (الراغب الاصفهاني، ١٤١٢: ٤٨٠/١) يمكن للانسان معرفة الله بالعين الظاهرة بل بالإقرار الصادق بحقائق الإيمان: «لَا تُدْرِكُهُ الْعُيُونُ مُشَاهِدَةً الْعِيَانِ وَلَكِنْ تُدْرِكُهُ الْقُلُوبُ بِحَقَائِقِ الْإِيمَانِ» (الخطبة: ١٧٩) والمقصود هنا من القلب هو قوة الإدراك. يعتبر بعض المفسرين أن هذه المعرفة هي نتيجة الإثبات والحجة (ابن أبي الحديد، ١٣٣٧: ٦٤/١٠)، لكن بعضهم يعتبره نوعاً من الشهود المباشر والبصيرة أو الكشف الكامل. (خوئي، ١٣٥٨: ٣١٩/١٧).

المصدر الثالث للمعرفة فائدة الأمور وفهمها هو الوحي: «وَأَعْلَمُوا أَنَّ هَذَا الْقُرْآنَ هُوَ النَّاصِحُ الَّذِي لَا يَعْشُرُ وَهَادِي الَّذِي لَا يُضِلُّ وَالْمُحَدِّثُ الَّذِي لَا يَكْذِبُ وَمَا جَالَسَ هَذَا الْقُرْآنَ أَحَدٌ إِلَّا قَامَ عَنْهُ زِيَادَةٌ أَوْ نُقْصَانٌ، زِيَادَةٌ فِي هَدْيٍ وَنُقْصَانٌ مِنْ عَمَى» (الخطبة: ١٧٥)

#### الدور التحفيزي للإيمان واليقين في تحقيق الفعل الأخلاقي

لماذا لا نقوم أحيانا بعمل مع أننا نعلم بأنه يحسن وذو مصلحة؟ الجواب هي أنه لا يحتوي بعض مراتب الإدراك على دافع كافٍ لأداء عمل أخلاقي، ولكن الدور التحفيزي للإدراك يتحقق عندما يرتقى إلى العلم اليقيني. بعبارة أخرى، ما يدعو الفاعل على فعل الخير هو المعرفة اليقينية، الذي يُفسر أيضاً على أنه إيمان. يقال أن الشخص يفعل شيئاً عندما يؤمن بلزومه، وهكذا يلعب الإيمان دوراً تحفيزياً للفاعل. الإيمان أمر باطني والعمل أمر ظاهري. بعبارة أخرى، إنه ادراك قلبي صريح لا ترديد فيه، ويشمل نطاقه جوانح القلب وقوى النفس الإنسانية وحالاتها: «الْإِيمَانُ مَعْرِفَةٌ بِالْقَلْبِ». (الحكمة: ٢١٨)

لكن يتم تنفيذ العمل مع الأعضاء البشرية والجوارح الجسمانية. لذلك، وخلافاً لرأي المعتزلة (ابن أبي الحديد، ١٣٧٨: ٥١/١٩)، فإن العمل لا تدخل في تعريف الإيمان وإذا ورد في بعض كلمات الإمام (ع) في تعريف الإيمان، العمل في حد المعرفة، فهذا يعني أن الفعل من ضرورات الإيمان وثمارة، وليس أنه متضمن في معنى الإيمان وطبيعته. هكذا في «الْإِيمَانُ مَعْرِفَةٌ بِالْقَلْبِ، وَإِقْرَارٌ

والتصديق بفائدته على مصدر واحد، لأنه يمكن الحصول عليه من عدة مصادر، والمعرفة التي تتم الحصول عليها من كل واحد من هذه المصادر يمكن أن تلعب دوراً محفزاً في اختيار الفعل بتوسط عامل فعال. يمكن تلخيص المصادر الرئيسية للإدراك في ١. الحس والتجربة، ٢. الفكر، ٣. المعرفة الشهودية، ٤. الإدراك الوحياني.

من الواضح، في المقام الأول، أن الإنسان يواجه العالم بحواسه ويدرك الأشياء التي تتوافق مع نفسه وتتعارض معها بهذه الطريقة. الإدراك الحسي يعتبر في نصح البلاغة، من العطايا الإلهية على الإنسان: "فَمَثَلَتْ إِنْسَانًا ذَا أَدْهَانٍ يُجِيلُهَا وَفِكْرٍ يَنْصَرِفُ بِهَا وَجَوَارِحَ يَحْتَدِمُهَا وَأَذْوَاتٍ يُقَلِّبُهَا وَمَعْرِفَةٍ يُفْرُقُ بِهَا بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ وَالْأَذْوَاتِ وَالْمَشَامِ وَالْأَلْوَانِ وَالْأَجْنَاسِ مَعْجُونًا بِطَبِئَةِ الْأَلْوَانِ الْمُخْتَلِفَةِ وَالْأَشْبَاهِ الْمُؤْتَلِفَةِ وَالْأَضْدَادِ الْمُتَعَادِيَةِ وَالْأَخْلَاطِ الْمُتَبَايِنَةِ مِنَ الْحَرِّ وَالْبَرْدِ وَالْبَلَّةِ وَالْجُمُودِ". (الخطبة: ١)

المصدر الثاني للإدراك بعد الحواس هو العقل. يمثل العقل مستوى من الحقيقة لا تستطيع الحواس ادراكها بأي حال من الأحوال. العقل يرادف الفهم وهو يستعمل ضد الجهل والغباء. (الخطبة: ١٩٩ والحكمة: ٣٨ و ٥٤) لقوة العقل في الإنسان وظائف مختلفة، منها: ١. معرفة الله، ٢. معرفة المعاد، ٣. معرفة العالم، ٤. معرفة الدين وأوامره و٥. التعرف على الأفعال وعواقبها. (معارف وقاسمي، ١٣٩٦: ٣١٧-٣٢٧) يقول الإمام (ع): «كفالك من عقلك ما أوضَحَ لك سُئِلَ عَيْتِكَ مِنْ رُشْدِكَ» (الحكمة: ٤٢١). يقول الإمام (ع) في تعريف الشقى والشيرير: «فَإِنَّ الشَّقِيَّ مَنْ حَزُمَ نَفْعَ مَا أَتَى مِنْ الْعَقْلِ وَالتَّجْرِبَةِ» ويقول في موضع آخر: "إِنَّ أَعْنَى الْعِنَا الْعَقْلُ" (الحكمة: ٣٨).

الإيمان يوصف في نصح البلاغة بنوع من المعرفة القلبية: «الْإِيمَانُ مَعْرِفَةٌ بِالْقَلْبِ، وَإِقْرَارٌ بِاللِّسَانِ، وَعَمَلٌ بِالْأَرْكَانِ» (الحكمة: ٢١٨) هناك افكار كثيرة حول حقيقة الإيمان، ولكن نظراً إلى مراتب الإيمان، يمكن القول بأن الإيمان اعتراف صريح من القلب دون إكراه أو ممانعة، ويظهر في جميع جوانب الوجود البشري، بما في ذلك أفعاله

إلى هدفه بشكل واضح: «فإنَّما البصيرُ من سمِعَ فَتَفَكَّرَ وَنَظَرَ فَأَبْصَرَ وَانْتَفَعَ بِالْعَبْرِ ثُمَّ سَلَكَ جَدًّا وَاضِحًا» (الخطبة: ١٥٣) معنى كلمة «جدد»، الطريق الصحيح أو الصراط المستقيم. (ابن ميثم البحراني، ١٣٦٢: ٢٤٢/٣) من خلال الاستماع إلى النصيحة والتوجه إلى التجارب السابقة يمكننا أن نتهدى إلى الطريق الصحيح. "من اعتَبَرَ أَبْصَرَ" (الحكمة: ٢٠٨) لذلك، فإن التعرف على فوائد ومضار الأفعال ليس مسألة ذوق شخصي، ولكنه يتطلب مقارنة بين الأساليب وأنماط السلوك المختلفة. (ابن أبي الحديد، ١٣٧٨: ٢٨/١٩): الإمام (ع) يعتبر لليقين أربع قواعد: «تَبْصِرَةُ الْفُطْنَةِ وَتَأْوُلُ الْحِكْمَةِ وَمَوْعِظَةُ الْعِبْرَةِ وَسُنَّةُ الْأَوْلِيَيْنِ فَمَنْ تَبَصَّرَ فِي الْفُطْنَةِ تَأْوُلَ الْحِكْمَةِ وَمَنْ تَأْوُلَ الْحِكْمَةِ عَرَفَ الْعِبْرَةَ وَمَنْ عَرَفَ الْعِبْرَةَ فَكَأَنَّمَا عَاشَ فِي الْأَوْلِيَيْنِ.» (الحكمة: ٣١) لذلك، حصول المعرفة المفيدة بالإضافة إلى قوة الفهم والذكاء، يستلزم الاستفادة من خبرة الأمم الماضية والتعلم من القادة الروحيين. (الخوئي، ١٣٥٨: ٢٧٩/٢١)

#### حدود الإدراك

العوامل المختلفة تؤثر في البصيرة الباطنية للشخص وتضعف قوته. يمكن تقسيم هذه العوامل إلى: ١. الشرائط البيئية و٢. العوامل الداخلية. على سبيل المثال، في ظروف الفتنة، الغبار الناجم عنها والعداوة، يمنع من معرفة الصواب من الخطأ، ويصعب التمييز بين نوع العمل الذي يمكن القيام به للوصول إلى الكمال النافع: «...يُبْثُّ الْفِتْنُ فِيهَا فَلَا يَبْصُرُونَ الْحَقَّ مِنَ الْبَاطِلِ بِمُوجُودٍ فِيهَا مَوْجًا». (خطبة: ١٦٤) في مثل هذه الظروف، يوصى بترك الأفعال التي يسيء إليها الآخرون: «كُنْ فِي الْفِتْنَةِ كَابْنِ اللَّبُونِ، لَا ظَهْرَ فَيَرْكَبَ وَلَا ضَرْعٌ فَيَخْلَبُ» (الحكمة: ١)

بالإضافة إلى الظروف البيئية، يمكن للعوامل الداخلية أيضًا أن تضعف بصيرة الشخص وإدراكه. ترجع هذه العوامل الداخلية إلى مجالين من المشاعر والإرادة الإنسانية: الملذات والميول والأهواء الجسدية في ساحة المشاعر والشوق والرغبات في ساحة الإرادة عوامل خطيرة تمنع الرؤية البشرية. ويشير الإمام (ع) إلى كليهما في حديث،

بِاللِّسَانِ، وَعَمَلٌ بِالْأَرْكَانِ» (الحكمة: ٢٢٧) لا يعني أن العمل بأعضاء الجسم أو الاعتراف اللفظي داخل في تعريف الإيمان وحقيقته، ولكن يكون كنتيجة الإيمان وثمرته. «الإيمان شجره... ثمرتها السخاء». (الأمدي، ١٣٦٦: ١٢٤/١)

إن استعمال كلمة الإيمان مع اللب والعقل والبرهان والحكمة والوحي في نهج البلاغة يظهر المكونات المعرفية للإيمان. هذه المكونات تصل في مرحلة اليقين إلى ذروتها. وبالتالي فإن أعلى مراتب المعرفة الإيمانية هو اليقين الذي لا مجال فيه للشك والريبة والخطأ.

من منظور نهج البلاغة، فإن الصلة بين الإيمان والعمل تتحقق من خلال نوافذ الإحساس والإرادة. الإيمان ليس مجرد مسألة معرفية وإبستمولوجية لا يمكن تفسيرها فيما يتعلق بالفعل، ولكن نطاق الإيمان يشمل القوى العاطفية والإرادية للإنسان، وبالتالي لها علاقة متبادلة مع الفعل. فبالإضافة إلى المعرفة والبصيرة، الإيمان يشمل الشوق (الإحساس) من جهة، ومن جهة أخرى يشمل الاختيار والعزيمة (الإرادة). يؤثر العمل من خلال نفس النوافذ في الإيمان ويقويها أو يضعفها: «فَبِالإِيمَانِ يُسْتَدَلُّ عَلَى الصَّالِحَاتِ وَبِالصَّالِحَاتِ يُسْتَدَلُّ عَلَى الإِيمَانِ» (الخطبة: ١٥٦) إن القيام بالأعمال الصالحة يزيد في المعرفة واليقين والعاطفة والحب، وكذلك الإخلاص والالتزام بممتلكات الإيمان. لذلك فكما أن العمل الصالح (الإحسان) ينشأ من الإيمان: «فَبِإِيمَانِهَا عَزِمَتْهُ الإِيمَانِ وَقَفَاتِحُهُ الإِحْسَانِ» (الخطبة: ٢) تساهم الأعمال الصالحة أيضًا في حياة الإيمان وخصوبته.

#### شروط لاستخدام الفكر في التعرف على الفعل الأخلاقي

يتطلب استخدام قوة الإدراك كمصدر أولي لأداء العمل الأخلاقي، استيفاء شروط وتحقيق لوازم. في المقام الأول، تتطلب قوة الفكر والتفكير في التعرف على فوائد ومضار الفعل والتصديق بما (الانتباه إلى نتائج وعواقب الأفعال) وبالتالي تحتاج إلى الرجوع إلى التجارب السابقة. يجب على من أراد التشخيص الصحيح للأعمال الصالحة أن يلتفت إلى عواقبها في الماضي وأن يتعلم منها حتى يصل

وهكذا، بعد تصور الفعل والتصديق بفائدته أو تلاومه مع النفس، ينشأ الشوق في الإنسان ويريد القيام به، ولهذا السبب فإن هذه الحالة العاطفية هي أيضاً تسمى الرغبة. من ناحية أخرى، إذا وجد أن العمل ضار ولا يتوافق مع الطبيعة، فهو يوجب حصول شعور بالكراهية أو الخوف تجاهه.

في نهج البلاغة، تُنسب أحياناً الحالات المتعلقة بمجال العاطفة إلى القلب، لأن أحد استعمالات كلمة القلب في هذا الكتاب يعني مركز العواطف ومحور الإحساسات البشرية. ومن الأمثلة على هذه الإحساسات: العطف: «فَإِنَّ عَطْفَكَ عَلَيْهِمْ يَعْطِفُ قُلُوبَهُمْ عَلَيْكَ» (الرسالة: ٥٣)، الرحمة: «وَ أَشْعُرُ قَلْبَكَ الرَّحْمَةَ لِلرَّعِيَةِ وَالْمَحَبَّةَ لَهُمْ» (همان)، الحزن: «الْمُؤْمِنُ بِشْرُهُ فِي وَجْهِهِ وَحُزْنُهُ فِي قَلْبِهِ» (الحكمة: ٣٣٣)، القبح: «لَقَدْ مَلَأْتُمْ قَلْبِي قَيْحًا» (الخطبة: ٢٠٥)، الخوف: «وَ اِخْلَلْ عَقْدَةَ الْخَوْفِ عَنْ قُلُوبِهِمْ» (الرسالة: ١٨)، الخشوع: «حَاشَعًا قَلْبُهُ، فَانِعَةً نَفْسُهُ» (الخطبة: ١٩٣) والمحبة: «قُلُوبُهُمْ إِلَيْكَ مَلْهُوفَةٌ» (الخطبة: ١٩٣)

يتم تقييم هذه الحالات العاطفية بناءً على مدى قربها من وصول الشخص إلى الكمال المنشود. نشير فيما يلي بعض الأمثلة على هذه المشاعر ودورها في عملية تحقيق الأفعال.

**الشوق إلى الثواب الإلهي:** إذا نظر الإنسان بقلبه إلى المشاهد التي تصورها آيات القرآن من الجنة وثواب الآخرة، فإن شتلات الشوق ستره في باطنه بحيث ينفصل النفس عن بدنه: «فَلَوْ شَعَلْتَ قَلْبَكَ ... لَزَهَقَتْ نَفْسُكَ شَوْقًا إِلَيْهَا» (الخطبة: ١٦٥) وقوله: فلو شعلت قلبك. أى أخذت في إعداد نفسك الوصول إلى ما يهجم عليك: أى يفاض عليك من تلك الصور البهيمية المعجبة لزهقت نفسك: أى مت شوقاً إليها. فالشوق هو حاصل معرفة حقائق الأعمال الصالحة ونتائجها. (ابن ميثم البحراني، ١٣٦٢: ٣/٣١٤) إن عظمة الله في قلوب المؤمنين والأتقياء توجب أن يحسبوا غيره بلا قيمة. «فَهُمْ وَالْجَنَّةُ كَمَنْ قَدْ رَأَاهَا، فَهُمْ فِيهَا مُتَعَمِّمُونَ، وَهُمْ وَالنَّارُ كَمَنْ قَدْ رَأَاهَا، فَهُمْ فِيهَا مُعَدَّبُونَ... وَ لَوْ

ويعبر عن خوفه منهما: «إِنَّ أَحْوَفَ مَا أَحَافَ عَلَيْكُمْ اثْنَتَانِ: اتِّبَاعُ الْهَوَىٰ وَطُولُ الْأَمَلِ» (الخطبة: ٢٨ و ٤٢) إن إتباع أهواء النفس يمنع الإنسان من طريق الحق وطول الأمل ينتج إهمال الآخرة، ويودي هذين السقوط في دوامة الخطايا.. (نواب لاهيجي، بي تا: ٤٨).

## موانع المعرفة

١. فى ساحة الإحساس: الشهوة والاهواء الجسمانية

٢. فى ساحة الإرادة: طول الأمل، الحرص

إن الميل والرغبة، اللذان يتجلى في صورتها الشديدة في شكل الحب والحنان والعشق بالأشياء، يجرمان الإنسان من قوة التمييز ويجعله أعمى وأصمًا: «حُبُّكَ لِلشَّيْءِ يُعْمَى وَيُصَمُّ» (الجلسي، ١٤٠٤ ق: ١٦٦/٧٤) الإمام (ع) في الاستعمال الوحيد لكلمة «العشق» في نهج البلاغة يوصفها نوعاً من العمى ومرض القلب: «مَنْ عَشِقَ شَيْئًا أَعَشَى بَصَرَهُ وَأَمْرَضَ قَلْبَهُ» (الخطبة: ١٠٩) في هذا الكلام، يعتبر الجهل الناتج عن الحب مثل الظلام الذي يجنب بصيرة العقل. (ابن ميثم البحراني، ١٣٦٢: ٦٢/٣) من يرى يبصر غير صحيح ويسمع بأذن صماء يفقد قوة عقله، لأن شهواته تمنع تفكيره الصحيح: «قَدْ حَرَقَتْ الشَّهَوَاتُ عَقْلَهُ» (الخطبة: ١٠٩) فحب الأمور تستعد الإنسان ومنع أن تؤثر النصبحة في قلبه.

و بالتالي، فإن الاجتناب عن الشهوات هو العلاج الوحيد لضعف التشخيص وعمى القلب، الذي يعبر عنها في المعارف الدينية بلفظة «التقوى»: «فَإِنَّ تَقْوَى اللَّهِ دَوَاءٌ دَاءٍ قُلُوبِكُمْ وَبَصَرٌ عَمَى أَفْبِدَتِكُمْ» (الخطبة: ١٩٨). لأن التقوى تقضى على العمى والجهل. (ابن ميثم البحراني، ١٣٦٢: ٣/٤٤٧) وايضا مراعاة العفة تجلب هبة عظيمة من الله وهي قوة التمييز: «إِنَّ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا» (انفال: ٢٩)

## دور العامل العاطفي في العمل

بلغة الفلاسفة، بعد مرحلة التصور والتصديق (تصور الفعل والتصديق على عواقبه)، تخلق قوة الشوق البشرية حالات في النفس تُفسر على أنها حماسة ورغبة أو كراهية وخوف. (صدر الدين شيرازي، ١٣٦٦: ١٣٦٦/٥)

أكثر الناس: «وَصَرِيحَ الشَّهَوَاتِ» (الرسالة: ٣١) لأن الشهوات، كما قيل، تحرم الإنسان من قوة العقل وقوة التمييز: «فَدَّ حَرَقَتِ الشَّهَوَاتُ عَقْلَهُ» (الخطبة: ١٠٩) فإن شرط تحقيق السعادة الحقيقية هو التجنب عن الأسر في الشهوات، وهو ما يمكن تحقيقه من طريق المجاهدة ضد الأنانية: «وَأَمْرُهُ أَنْ يَكْسِرَ نَفْسَهُ مِنَ الشَّهَوَاتِ وَيَرْعَهَا عِنْدَ الْجَمَحَاتِ» (الرسالة: ٥٣) الأنانية هي دافعة تقود الإنسان إلى الشر ولذلك تقوده إلى فعل الخطأ: «فَإِنَّ النَّفْسَ أَمَارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ اللَّهُ» (همان)

ما يشار إليه في لغة الدين على أنه شهوة هو من أصناف حب الذات. الحب هو أحد الأحاساس والعواطف الأساسية. في نهج البلاغة حُبُّ الدنيا هو ضدَّ محبة الآخرة. حب الدنيا هو نتيجة لسحرها وجمالها الظاهر. الدنيا يخدع الإنسان الجاهل بحقيقتها، أما الرجل الحكيم الذي يتذكر بحقيقة هذا العالم وعدم ثباته ودوامه، فلا ينخدع به ولا يدخل حب الدنيا في قلبه. (المغنية، ١٣٥٨: ٣٨٩/٢) «مَثَلُ الدُّنْيَا كَمَثَلِ الْحَيَّةِ لَئِنْ مَسَّهَا وَالسُّمُّ النَّاقِعُ فِي جَوْفِهَا يَهْوَى إِلَيْهَا الْعُرُّ الْجَاهِلُ وَيَحْدُرُهَا ذُو اللَّبِّ الْعَاقِلُ» (الرسالة: ٦٨) أفضل طريقة لدفع حب العالم من القلب هو الانتباه إلى عدم ثبات العالم وتحول أفراده وأحزانه.

طبعاً في نهج البلاغة أحياناً يمدح الدنيا ويحرم إدانته لأن الحكم على الدنيا يبتنى على نوع النظرة الإنسانية إليه. إذا نظر المرء إلى ظاهر الدنيا ويعجز عن فهم حقيقتها، فإنه يصبح أعمى، ولكن إذا نظر إلى حقيقة الدنيا، فإن الدنيا يجعله بصيراً بكل أنواع النصائح والعبر التي لديه: «مَنْ أَبْصَرَ بِهَا بَصَرْتَهُ وَمَنْ أَبْصَرَ إِلَيْهَا أَعْمَتْهُ» (الخطبة: ٨٢) في هذا الخطاب الذي كان في أوج البلاغة، يتم التمييز بين نوعين من النظرة إلى الدنيا: وجهة نظر ترى العالم كأداة للسير وسلم للسلوك إلى الكمال، ووجهة نظر تضعها منتهى آماله. (الخوئي، ١٣٥٨: ١٩٢/١) والثانية: أن ينخدع بظاهر الدنيا وأصل كل الذنوب: «حُبُّ الدُّنْيَا رَأْسُ كُلِّ خَطِيئَةٍ» (الكلينى، ١٣٦٥: ١٣٠/٢).

**الكراهية:** الكراهية هي نقيض الحب، أي الشعور

لَا الْأَجَلَ الَّذِي كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ لَمْ تَسْتَقِرَّ أَرْوَاحُهُمْ فِي أَجْسَادِهِمْ طَرْفَةَ عَيْنٍ شَوْقًا إِلَى النَّوَابِ وَخَوْفًا مِنَ الْعِقَابِ» (الخطبة: ١٩٣) وهو إشارة إلى غاية نفرتهم عن الدنيا وفرط رغبتهم إلى الآخرة لما عرفوا من عظمة وعده ووعيده، يعني أنهم بكليتهم متوجهون إلى العقبى مشتاقون إلى الانتقال إليها شدة الاشتياق، لا مانع لهم من الانتقال إلا الاجال المكتوبة وعدم بلوغها غايتها. وهكذا، فعندما يراجع الأتقياء آيات القرآن المشجعة عليهم، يرون أرواحهم تحرق بما بشوق، وأذا يتلون الآيات التي يخشى فيها الجحيم يسمعون صرخات العذاب الإلهي في آذان قلوبهم، ويرونه أقرب إلى أنفسهم من أي شيء آخر. (الخوئي، ١٣٥٨: ٤٠١/٤)

**رغبة القلب:** كل إنسان، لأسباب مختلفة، مثل الحاجات الجسدية والنفسيه، يبدي رغبة في الأشياء أو ممانعة ومقاومة. إن فهم هذه العواطف ودورها الإيجابي والسلي للنجاح في القيام بالأعمال الصالحة والسيئة أمر ضروري: «إِنَّ لِلْقُلُوبِ شَهْوَةً وَإِقْبَالًَ وَإِدْبَارًا، فَأَتْوَاهَا مِنْ قَبْلِ شَهْوَتِهَا وَإِقْبَالِهَا، فَإِنَّ الْقَلْبَ إِذَا أُكْرِهَ عَمِيَ» (الحكمة: ١٩٣) دور الرغبة في العمل واضح لأنه لا يمكن توقع أن يقوم به الفاعل إلا عندما يكون هذا الشوق موجوداً. كما أن أداء العبادات يكون ذا قيمة عندما يقام على الرغبة والبهجة لا على الملل والكسل. «وَوَ تَشَاطَأَ فِي هُدًى» (الرسالة: ٣١) يصف الله المنافقين على هذا النحو: «وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كَسَالَى» (نساء: ١٤٢) في نهج البلاغة أيضاً، يعتبر الملل والكسل وإرهاق النفس، داء طبيعياً كإرهاق الجسد، يجب أن يعالج بالحكمة: «الْقُلُوبُ تَمَلُّ كَمَا تَمَلُّ الْأَبْدَانُ، فَابْتَعُوا لَهَا طَرَائِفَ [الْحِكْمَةِ] الْحِكْمِ» (الحكمة: ٩١)

**الشهوات:** أميال النفس تمنع الشوق والرغبة في الوصول إلى الجنة، وتسمى الشهوات: أصل الشهوات هو الرغبة في تحصيل الثروة: «الْمَالُ مَادَّةُ الشَّهَوَاتِ» (الحكمة: ٥٨) بالرغم من أن الإنسان يحتاج إلى الثروة في بقاء حياته، إلا أن الحرص والرغبة في تحصيلها يمنعانه من بلوغ الكمال. (ابن أبي الحديد، ١٣٧٨: ١٩٣/١٨) الرغبات المادية والشهوات قوية تغلب على

شرح كيفية التمييز بين هذه المرحلة وبين مرحلة العاطفة. وبالتالي، فإن وجود أصل ثالث في مبادئ العمل الأخلاقي يبتنى على قبول الإرادة كقوة مستقلة عن الميل. إن قبول هذه القوة هو الذي يحدد الاختلاف الرئيسي بين الفعل الأخلاقي والفعل الجبري. لا يعتقد الحجرة (Determinists) بوجود قوة الإرادة في الإنسان أو يعتبرونها قوة ظاهرية فرعية لقوة الإدراك والرغبة، وهي نظرية تُعرف باسم "نظرية المعتدّ/الميل" وأشهر فيلسوف دافع عنها دافيد هيوم (David Hume) الإنجليزي. (مك ناوترن، ١٣٩١: ٣١)

هناك آراء مختلفة حول النسبة بين الميل والإرادة. القائلون بالفرق بينهما قدموا أيضاً تفسيرات مختلفة في بيان الاختلاف بينهما. يعتقد القائلون باستقلال قوة الإرادة أن وجودها في الإنسان أمر بديهي، ويقولون أن ابتناء الفعل الأخلاقي عليها مسألة طبيعية. شرح بعض المفكرين الفرق بين الميل والإرادة بطريقة يجعل الميل هو الانجذاب إلى أمر خارجي، لكن الإرادة تنشأ عن باطن الإنسان. الإنسان، بعد محاسبة عواقب الأفعال، يختار بعضها. (مطهري، ١٣٧١، ٤٩٢/٢٢) حسب كلمات الامام علي (ع) في نهج البلاغة، يمكن التفريق بين قوة الإرادة والميل وشرح دور كل منهما في تحقيق الفعل الأخلاقي.

**كرامة النفس والشهوات:** من وجهة نظر نهج البلاغة، من يرى لنفسه كرامة وقيمة، تظهر الشهوات في عينه مذلة: «مَنْ كَرُمَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ، هَانَتْ عَلَيْهِ شَهْوَاتُهُ» (الحكمة: ٤٤٩) في هذا الكلام، يعتبر إتباع الشهوة ضداً لكرامة النفس. (ابن ميثم البحراني، ١٣٦٢: ٤٥٧/٥) وهكذا يرى الإنسان تعارضاً بين كرامته وبين إتباع الرغبات والميول المادية، فإذا تفتن بأن اتباع الشهوات وإشباع شهواته الجسدية أذلته، يصارع معها. بمعنى آخر، سيكون هناك في باطن الإنسان مشهد صراع بين قوتين: ١. من ناحية، فإن قوة الشهوات والرغبات تدفعه إلى فعل شيء ما، و ٢. من ناحية أخرى، العزيمة تمنعه من فعل ذلك. بالنتيجة، بالإضافة إلى الرغبات، تشارك قوة أخرى في مبادئ العمل الأخلاقي، التي تعبّر عنها بالعزم والارادة

بعدم الرضا والميل. (قرشي بنابي، ١٣٧٧: ٢/٩٠٠) لذلك، في عملية إصدار الفعل الأخلاقي، لا يفعل المرء ما يكرهه ويتردد في فعله، إلا إذا كان هناك عامل عاطفي أو إرادي أقوى مثل الصبر يدفعه لذلك: «الصَّبْرُ صَبْرَانِ، صَبْرٌ عَلَى مَا تَكْرَهُ، وَصَبْرٌ عَمَّا تُحِبُّ» (الحكمة: ٥٥) وفقاً لنهج البلاغة، يمكن أن يكون حب الإنسان للأشياء وكرهه معياراً لسلوكه مع الآخرين، وهو ما يُفسّر على أنه «القاعدة الذهبية»: «اجْعَلْ نَفْسَكَ مِيزَانًا فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ غَيْرِكَ فَأَحْبِبْ لِعَيْرِكَ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ وَاكْرَهُ لَهُ مَا تَكْرَهُ لَهَا...» (الرسالة: ٣١) القاعدة الأخلاقية «عامل الناس بمثل ما تحب أن يعاملوك» تعرف في الأحاديث الإسلامية بقاعدة الانصاف، وتشتهر في المكاتب الأخلاقية المعاصرة باسم «القاعدة الذهبية» (كسلسر، ١٣٨٥: ١٩٣)

**الخوف:** الشعور بالخوف يؤدي إلى الإقلاع والامتناع عن فعل الأشياء. من منظور نهج البلاغة، يمكن أن يكون للخوف أسباب ارادية وغير ارادية. معنى الخوف في مناقشة مبادئ العمل الأخلاقي هو الخوف الذي ينشأ من إدراك عواقب الفعل. إذا كان الخوف ناتجاً عن التشخيص الصحيح، فيكون ذا قيمة وإلا فإنه سيكون ضد الأخلاق: «مَنْ خَافَ أَمِنَ» (الحكمة: ٢٠٨). إن مخافة الله تؤدي إلى سلامة عذاب يوم القيامة. (ابن أبي الحديد، ١٣٧٨: ٢٨/١٩) إذا كان الإنسان، في تصور الأفعال وإدراك عواقبها، يدخل في الاعتبار أيضاً عواقب حياة الآخرة، فإن مشاعره تجاههم ستتغير. وهكذا، في الحسابات العادية، قد يحب شيئاً ما ويكون مستعداً لفعله، ولكن وفقاً لعواقب الآخرة، قد يخشى فعل ذلك: «ادْكُرُوا أَنْقِطَاعَ اللَّذَاتِ، وَتَقَاءَ التَّيْبَعَاتِ» (الحكمة: ٤٣٣) فالخوف شعور يتبعها حفظ النفس وردعها.

### دور الإرادة في العمل

في شرح مبادئ العمل الأخلاقي تقع الإرادة في المرحلة الثالثة، بعد مرحلتين الإدراك والإحساس. كما ذكرنا، أشار الفلاسفة المسلمون الى هذه المرحلة بتعبيرات مختلفة مثل العزم والشوق المؤكد والإرادة والإجماع. الفلاسفة المسلمون يؤكدون على الاختلاف بين الميل والإرادة في

تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ﴿٩٢﴾ (آل عمران: ٩٢) قال الإمام (ع): «مَا أَنْقَضَ النَّوْمَ، لِعَزَائِمِ الْيَوْمِ» (الحكمة: ٤٤٠) الواصلون إلى مقام الوصال الإلهي وأصحاب الفضائل، أي الأنبياء، تحققوا أهدافاً عظيمة بإرادة قوية: «وَلَكِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ جَعَلَ رُسُلَهُ أَوْلَى قُوَّةً فِي عَزَائِمِهِمْ» (الخطبة: ١٩٢) إنهم جاهدوا ولم يستسلموا، كما يجاهد أتباعهم في سبيل الله ولا يخافون من التوبيخ: «جَاهِدْ فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ وَلَا تَأْخُذْكَ فِي اللَّهِ لَوْمَةٌ لَاتِيمٍ» (الرسالة: ٣١) لأن جهودهم عالية وإرادتهم وإيمانهم قوية: «الْمُؤْمِنُ بَعِيدٌ هَمَّةً» (الحكمة: ٣٣٣).

في أكثر الاحيان يكون فعل الحسنات أمراً صعباً، وعلى العكس من ذلك، فإن ارتكاب المعاصي أو السيئات أمر سهل. من وجهة نظر نهج البلاغة، من أجل القيام بعمل صالح، يجب على المرء أن يجاهد أهواء النفس ويقاوم ضدها: «فَرَجَمَ اللَّهُ امرءً نَزَعَ عَنْ شَهْوَتِهِ وَقَمَعَ هَوَى نَفْسِهِ» (الخطبة: ١٧٦) والمؤمن لا يرى نفسه والأهواء المادية وملذات نفسه ويتعد عنها، بل يسارع إلى فعل الخير، ويقوة الإرادة والعزيمة ويقاوم شهوات النفس: «فَكُنْ لِنَفْسِكَ مَانِعًا رَادِعًا» (الرسالة: ٥٦) إن الله تعالى يتفضل برحمته لمن يصارع هواء نفسه ولا يتبع رغباته: «رَحِمَ اللَّهُ امرئًا كَابَرَ هَوَاهُ وَكَدَّبَ مَنَاهُ» (الخطبة: ٧٦) يعتبر بعض الناس العقل كأداة هذا الجهاد لأن العقل يظهر خداع طول الامال. (ابن أبي الحديد ١٣٧٨: ١٧٣/٦) إذا كان هواء النفس يصعب على الإنسان أن يفعل الخير، فعليه أن يقاوم أهواء نفسه ويجاهدها: «إِنْ اسْتَصْعَبَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ فِيمَا تَكَرَّرَ لَمْ يَعْطِهَا سُؤْلَهَا فِيمَا تُحِبُّ» (الخطبة: ١٩٣)

في أكثر الاحيان يتردد الإنسان في معركة اتخاذ القرار والاختيار، ويعجز عن التمييز بين الخير والشر. من وجهة نظر نهج البلاغة، في مثل هذه الحالات، فإن أحد معايير التمييز هو ان يقدير أيهما أقرب إلى هوى نفسه، حتى يعارضه: «إِذَا بَدَّهَهُ أَمْرَانِ، يَنْظُرُ أَيُّهُمَا أَقْرَبُ إِلَى الْهَوَى، فَيُخَالِفُهُ» (الحكمة: ٢٨٩) قال الإمام (ع) لمحمد بن أبي بكر إن العمل الصالح، هو عمل تعارض فيه نفسك. (الرسالة: ٢٧) قال (ع): «هَيْهَاتَ أَنْ يُغْلِبَنِي هَوَايَ

من منظور نهج البلاغة، فإن من يعتبر نفسه عزيزاً لا يترك نفسه في دوامة الشهوات. قال الامام (ع): «أَمَّا تَرَحُّمٌ مِنْ نَفْسِكَ مَا تَرَحُّمٌ مِنْ غَيْرِكَ؟ فَلَرُبَّمَا تَرَى الصَّاحِي مِنْ حَرِّ الشَّمْسِ فَتُظَلُّهُ، أَوْ تَرَى الْمُتَبَتَّلِي بِالْمِمْضِ جَسَدَهُ فَتَبْكِي رَحْمَةً لَهُ، فَمَا صَبَّرَكَ عَلَى ذَائِكَ وَجَلَّدَكَ عَلَى مُصَابِكَ وَعَزَّكَ عَنِ الْبُكَاءِ عَلَى نَفْسِكَ، وَهِيَ أَعَزُّ الْأَنْفُسِ عَلَيْكَ؟ وَكَيْفَ لَا يُوقِظُكَ خَوْفُ بَيَاتِ نَفْسَةٍ وَقَدْ تَوَرَّطْتَ بِمَعَاصِيهِ مَدَارِجَ سَطَوَاتِهِ؟» (خطبة: ٢٢٣).

**قوة الإرادة وضعفها:** من أهم القضايا في الحياة الأخلاقية للإنسان هو الضعف الأخلاقي، يعني أنه في كثير من الحالات يعمل الفاعل الأخلاقي بشكل مخالف لمعتقداته؛ على سبيل المثال، يعمل ما يعتقد أنه شر ويتخلى عن ما يعتقد أنه خير، وما يسمى بالأفعال المخالفة لحكمه الأخلاقي. لقد كانت فلاسفة الأخلاق ينظرون بهذه المسألة منذ بداية تاريخ الفلسفة، وقد اتخذ كل منهم موقفاً من إمكانها وكيفية إبتنائها على مبادئها. (ملك ناوتن، ١٣٩١: ١٦٧) في نهج البلاغة بعد التصريح بإمكان الضعف الأخلاقي، وهو من أنواع ضعف الإرادة، فقد ذكر شرحه وعلاجه. "الفترة" و"الوهن" كلمات تعني ضعف الإرادة وتعتبر عاملاً من عوامل عدم الالتزام الأخلاقي: «فَتَدَاوٍ مِنْ دَاءِ الْفَتْرَةِ فِي قَلْبِكَ بِعَزِيمَةٍ» (الخطبة: ٢٢٣)

«فَبَاعَ الْيَقِينَ بِشَكِّهِ وَالْعَزِيمَةَ بِوَهْنِهِ» (الخطبة: ١) و بالتالي، إضافة إلى ضعف الإدراك الذي يظهر في أمور مثل الإهمال والشك، فإن ضعف الإرادة هو أيضاً سبب مهم للسقوط الأخلاقي. يشتد الصراع بين الرغبات والإرادات في اتباع طريق العبودية: «لَا تَجْتَمِعُ عَزِيمَةٌ وَوَلِيمَةٌ» (الخطبة: ٢٤١) معنى "العزيمة" قوة الإرادة والجهد، ومعنى "وليمة" التمتع بغير احتمال المشقة والصعوبة. بعبارة أخرى، يصعب الوصول إلى الفضائل. تحقيق الفضائل في نفس الانسان تطلب قوة العزيمة لا تتوافق مع الاستسلام للرغبات. (ابن أبي الحديد، ١٣٧٨: ١٤٤/١١)

بحسب تعاليم القرآن الكريم، لا يمكن تحقيق الخير والسمو إلا بتجنب الإنسان عما يحب ويرغب: ﴿لَنْ

والعزم ويتعلق بقوة الإرادة البشرية:

١. التصور والتصديق (من عظمت الدنيا في عينه)

٢. الشوق (كبر موقعها في قلبه)

٣. الإجماع والعزم (آثرها على الله تعالى)

النتيجة: المعصية

### الخاتمة والاستنتاجات

من أهم الموضوعات في فلسفة العمل، هو مبادئ العمل الاختياري البشري، وهي التي يمكن تفسيرها على أنها عملية إصدار الأفعال الإرادية البشرية. عبر الفلاسفة عن آراء مختلفة حول هذا الموضوع وعدّدوا مراحل مختلفة لأداء الفعل الاختياري، ولكن يمكن تحديد هذه المراحل والمبادئ في: التصور والفعل والتصديق بفوائده وخسائره، ٢. الإحساس: وهو الشوق (مقابل الخوف) ٣. الإرادة: التصميم والإجماع والقرار الباطني بالتصرف والعزم. يؤكد نصح البلاغة على دور المراحل الثلاث في ظهور الفعل.

يتكون الإدراك من مرحلتين (التصور والتصديق)، وهو المصدر الأول للفعل الأخلاقي. في نصح البلاغة تكون البصيرة والمعرفة بالموضوع أنه على دراية كافية بفوائدها ومضارها قبل القيام بالعمل. دون البصيرة، لا يصل الفاعل إلى الهدف، بل يتعد عنه أيضًا. ليس من السهل التعرف على منافع الأعمال ومضارها، وبالتالي، بالإضافة إلى التفكير، ينبغي للمرء أن يستخدم الخبرة السابقة للإنسان ويجدر له أن ينظر هداية الوحي في التعرف عليه. وهكذا، في نصح البلاغة، يؤكد الإمام (ع) على التفكير والتعلم في تجرب الامم الماضية والاستماع إلى دعوة الأنبياء. يحسن للإدراك الصحيح أيضًا إزالة الموانع الخارجية والداخلية.

تتعلق المرحلة الثانية من عملية إصدار الفعل الأخلاقي بقوة الشوق والشعور، وهو ما ذكر في نصح البلاغة خصائص إنفعالية مثل الرغبة والكرهية والخوف والحب والعشق. يتم تحديد قيمة هذه الخصائص العاطفية من خلال الدور الذي يقوم به في تحقيق أهداف الإنسان وكماله. إذا كانت شغف الشخص ورغباته وحبه لله وتنبع من المعرفة الكافية والبصيرة، فإن

ويُفَوِّدُنِي جَشَعِي إِلَى نَحْوِ الْأَطْعَمَةِ» (الرسالة: ٤٥)

قال الأمام (ع): «شَحَّ بِنَفْسِكَ عَمَّا لَا يَجِلُّ لَكَ» (الرسالة: ٥٣) لأن ارتكاب المعصية والفعل الحرام يذيل عقل الإنسان وعدله. (الخوئي، ١٣٥٨: ١٧٣/٦) أدنى إهمال في هذه الحالة يوجب أن تلعب الشهوة دورًا رئيسيًا في تحقيق الفعل: «لَا تُرْحَصُوا لِأَنْفُسِكُمْ فَتَذْهَبَ بِكُمْ الرَّحْصُ مَذَاهِبَ الظَّلْمَةِ وَلَا تُدَاهِنُوا فِيهِجْمَ بِكُمْ الْإِذْهَانُ عَلَى الْمَعْصِيَةِ» (الخطبة: ٨٦)

### عملية إصدار الحسنات والسيئات

بذلك يمكن تصوير عملية إصدار الحسنات في نصح البلاغة على النحو التالي:

١. التصديق بالعظمة الإلهية وحقارة الدنيا (المعرفة والإعتقاد)

٢. الشوق الى الله وتفضله (الشوق والاحساس)

٣. تفضيل العمل الصالح والعزم عليه (العزم والإرادة)

النتيجة: أداء العمل (الطاعة)

في المقابل، توصف مبادئ الأعمال السيئة أو عملية إصدارها على النحو التالي:

١. الإعتقاد بعظمة الدنيا (مرحلة الإدراك)

٢. حب الدنيا ولذاتها (مرحلة الشوق)

٣. تفضيل الدنيا على الله وطاعته (مرحلة العزم)

النتيجة: فعل المعصية

وقد صرح الإمام (ع) بهذا الترتيب على النحو التالي: «مَنْ عَظَمَتِ الدُّنْيَا فِي عَيْنِهِ وَكَبُرَ مَوْقِعُهَا مِنْ قَلْبِهِ آثَرَهَا عَلَى اللَّهِ تَعَالَى» (الخطبة: ١٦٠) المبادئ الثلاث في هذا الخطاب هي:

١. تعظيم الدنيا والاعتقاد بأن كل الحياة محدود بما: وهي مرحلة الإدراك، أي: أ) تصور الدنيا ولذاتها، ب) التصديق بملائمتها للنفس.

٢. الميل الى الدنيا في قلب الإنسان: وهو الشعور بالحب تجاهه ومن وجهة نظر بعض المفسرين هو سبب الحياة الدنيوية. (ابن ميثم البحراني، ١٣٦٢: ٢٨٤/٣).

٣. تفضيل الدنيا على الله: وهو مرحلة الاختيار

### موانع تحقيق فضيلة التقوى

١. الموانع المتعلقة بساحة الإدراك: عدم الإدراك والنقص في فهم الصحيح لعواقب الأفعال السيئة.
٢. الموانع المتعلقة بساحة العاطفة: الوقاحة في ارتكاب المعاصي وعدم الحياء والخوف.
٣. الموانع المتعلقة بساحة الإرادة: الوهن وفقد القدرة على ضبط النفس.

### موانع تحقيق فضيلة الصبر

١. الموانع المتعلقة بساحة الإدراك: نقص المعرفة بشأن الهدف من الحياة والجهل بدور الأفعال في تحقيقه.
٢. الموانع المتعلقة بساحة العاطفة: النقص في المشاعر اللازمة مثل الشوق والاشفاق في الإنسان.
٣. الموانع المتعلقة بساحة الإرادة: عدم القدرة على الزهد والترقب اللازم للإستقامة على الإطاعة.

### موانع تحقيق التوبة

١. الموانع المتعلقة بساحة الإدراك: الغفلة من باطن الأعمال القبيحة وعواقبها.
٢. الموانع المتعلقة بساحة العاطفة: عدم الشعور بالندم وعدم الشعور بالألم من المعاصي.
٣. الموانع المتعلقة بساحة الإرادة: عدم العزم الى ترك المعاصي.

ذلك يكون ذا قيمة، ومن الناحية الأخرى، إذا تحول إلى الملذات الدنيوية والمصالح المنخفضة والميول المتدنية، فإنه يقوده إلى هاوية التدمير ولا قيمة لها.

على خلاف الآراء التي تقول بالجبر والتعین العلي، التي لا تعتقد مبدئاً إرادياً لأفعال الإنسان، في نهج البلاغة، يتم التأكيد على دور العزم والإرادة كأحدى مبادئ العمل. وهكذا، بالإضافة إلى قوتي الإيمان والرغبة، من المسلم به وجود قوة داخلية في الإنسان يقدر أن تكون ضد الرغبات والميول الإنفعالية وتعارضها. في بعض الأحيان، لا تجمع قوة العزيمة مع مقتضى قوة الرغبة، بحيث يكون في نهج البلاغة، في حالة الشك في الحسنات أو السيئات، تعتبر معارضة الشهوات كمعيار اساسي للتمييز بين الخير والشر.

في أكثر المفاهيم الأخلاقية والموضوعات الدينية، يمكن الفصل بين مبادئ العمل الأخلاقي ومكوناته المعرفية والعاطفية والإرادية. إن الاهتمام بمبادئ التقوى والصبر والزهد والتوبة والمحاسبة وغير ذلك، من ناحية، يساعد في بيان مفاهيم هذه الموضوعات، ومن الناحية الأخرى، يرشد الى سبيل ليقوى الشروط والخطوات اللازمة وتحقيقها. وبالتالي، فإن الضعف في تحقيق التقوى والتوبة والصبر وغير ذلك من الموضوعات الأخلاقية يمكن أن يكون له أسباب معرفية وعاطفية وإرادية، يتطلب إزالتها أساليب وعلاجات خاصة. هنا نشير الى بعض الأمثلة:

### المصادر

- الخوئي، ميرزا حبيب الله هاشمي (١٣٥٨) منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، طهران، مكتبة الإسلامية.
- السيد الرضي، محمد بن حسين بن موسى (١٣٧٢) نهج البلاغة، ترجمة دكتور سيد جعفر شهيدى، طهران، انقلاب اسلامي.
- رضائي، مرتضى (١٣٩٦) مروري گذرا بر مباحث علم النفس فلسفي، مجله معرفت، ٥١ تا ٣٩، ش ٢٣٢، فروردين ٩٦.
- رضائي، مهران وهوشنگي، حسين (١٣٩٣) فريند صلور افعال اختياري انسان، دو فصلنامه معارف عقلي، ١١٥ تا ١٣٦، شماره اول، بايز وزمستان ١٣٩٣، پيايى ٢٩.

- القرآن الكريم
- الامدى، عبدالواحد بن محمد تميمي (١٣٦٦) غررالحكم ودرر الكلم، ١ ج، قم، دفتر تبليغات.
- ابن سينا، حسين بن عبدالله (١٣٦٢) الشفاء (الطبيعيات)، تحقيق ابراهيم مدكور، قم، مكتبة آيت الله العظمى مرعشى نجفى.
- ابن ابى الحديد، عزالدين ابو حامد (١٣٧٨) شرح نهج البلاغة، قم، مكتبة آيت الله العظمى مرعشى نجفى.
- ابن ميثم بحراني، ميثم (١٣٦٢) شرح نهج البلاغة، قم، دفتر نشر الكتاب.
- الخورى الشرتوني، سعيد (بى تا) اقرب الموارد في فصح العربية والشوارد، بى جا.

- ذاکری، مهدی (۱۳۹۴) درآمدی به فلسفه عمل، طهران، سمت.
- الراغب الاصفهانی، حسین بن محمد (۱۴۱۲ق) المفردات فی غریب القرآن، دمشق، دارالشامیه.
- صدرالدین الشیرازی، محمد بن ابراهیم (۱۳۶۶) تفسیر القرآن الکریم، تحقیق محمد خواجوی، قم، بیدار.
- صدرالدین الشیرازی، محمد بن ابراهیم (۱۳۵۴) المبدأ والمعاد، تصحیح سید جلال الدین آشتیانی، طهران، انجمن حکمت و فلسفه ایران.
- صدرالدین الشیرازی، محمد بن ابراهیم (۱۹۸۱م) الحکمة المتعالیة فی الاسفار العقلیة الاربعة، بیروت، دار احیاء التراث.
- صدرالدین الشیرازی، محمد بن ابراهیم (۱۳۶۰) الشواهد الربوبیة فی المناهج السلوکیة، مشهد، مرکز الجماعی للنشر.
- فیروزآبادی، مجدالدین محمد بن یعقوب (۱۳۷۱ق) القاموس المحیط، قاهره، مطبعة السعادة
- قرشی بنائی، سید علی اکبر (۱۳۷۷) مفردات نصح البلاغة، طهران، نشر قبله.
- الکلبینی، محمد بن یعقوب (۱۳۶۵) الکافی، طهران، دار الکتب الاسلامیة.
- کنسلر، هری جی (۱۳۸۵) درآمدی به فلسفه اخلاق، ترجمة حمیده بحرینی، تهران، آسمان خیال.
- المجلسی، محمدباقر (۱۴۰۴ق) بحار الانوار، بیروت، موسسه الوفاء.
- محدثی، جواد (۱۳۸۸) عمل معیار ایمان، فرهنگ کوثر، شماره ۷۸.
- معارف وقاسمی، مجید وحامد (۱۳۹۶) کارکردهای عقل در نصح البلاغة، مجله پژوهشهای قران وحديث، ش ۲، پاییز وزمستان ۱۳۹۶، صص ۳۱۵-۳۳۷.
- المغنیة، محمد جواد (۱۳۵۸) فی ظلال نصح البلاغة، بیروت، دار العلم للملایین.
- مک ناوتن، دیوید (۱۳۹۱) نگاه اخلاقی، ترجمة حسن میاننداری، طهران، سمت.
- مطهری، مرتضی (۱۳۷۱) مجموعه آثار مرتضی مطهری، طهران، انتشارات صدرا.
- نواب لاهیجی، میرزا محمد باقر (بی تا) شرح نصح البلاغة، طهران، اخوان کتابچی

## تحليل مبادئ فعل اخلاقي (شناخت، شوق وعزم) از دید نهج البلاغه

مهدی زمانی

تاریخ پذیرش: ۱۴۰۰/۰۳/۱۱

تاریخ دریافت: ۱۳۹۹/۰۴/۱۴

دانشیار گروه الهیات دانشگاه پیام نور، تهران، ایران

### چکیده

در این نوشتار با روش توصیفی - تحلیلی به بررسی مبادئ فعل اخلاقي در نهج البلاغه پرداخته شده است. مبادئ فعل اخلاقي یا فرایند صدور آن از دیدگاه فیلسوفان را می‌توان در سه مرحله خلاصه نمود که عبارتند از ۱- شناخت (تصور و تصدیق)، ۲- احساس (شوق) و ۳- اراده (شوق مؤکد، عزم واجماع). در نهج البلاغه از بصیرت نسبت به عمل و پیامدهای آن به عنوان نخستین مرحله این فرایند یعنی شناخت یاد شده است. دومین مرحله صدور فعل اخلاقي شامل مولفه‌های احساسی مانند شوق، ترس، میل، رغبت و عشق است و سومین مرحله عزم، تصمیم و اراده به شمار می‌آید. در نهج البلاغه بر اساس این مبادئ سه گانه، راه‌های رسیدن به تشخیص پیامدهای عمل، روش‌های تحقق احساس‌های مثبت و همچنین راهکارهای تقویت نیروی درونی عزم، تصمیم و اراده بیان شده است. توجه به تفکیک مبادئ و مراحل صدور فعل در مقولات اخلاقي و دینی مانند توبه، تقوا، صبر، زهد و... می‌تواند راه را برای تشخیص انواع موانع تحقق عمل صالح (فعل اخلاقي) و روش از میان برداشتن آن‌ها روشن سازد و به ارائه راهکارهایی تربیتی برای تقویت و اصلاح شناخت، شوق و عزم بیانجامد و از این جهت تبیین آن امری ضروری است.

کلیدواژه‌ها: مبادئ فعل اخلاقي، شناخت، شوق، عزم، نهج البلاغه، اخلاق.

### COPYRIGHTS



© 2021 by the authors. Licensee PNU, Tehran, Iran. This article is an open access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution 4.0 International (CC BY4.0) (<http://creativecommons.org/licenses/by/4.0>)